لعبة الأيام

صباح يوم الأحد، اليوم الأول للعام الدراسي الجديد في إحدى المدارس الثانوية، يصطف ماجد وراشد يلقون تحية العلم، ثم يشرعون في سباق مع قرنائهم لمحاولة الوصول أولًا لفصلهم الدراسي للفوز بالصف الأول من المقاعد، حيث يدرسان معًا في الصف الثالث الثانوي، فتمكن راشد من الوصول للمقعد الأول الأمامي، أما ماجد فكان مكانه في الصف الخامس فلم يجد ماجد حيلة إلا الاستقواء على راشد المهذب العاجز عن مجاراة ماجد في ألاعيبه النفسية، وطلب منه عمل تبديل لأماكنهم فاعتذر منه راشد بكل أدب ليس لوصوله للمكان المنشود أولًا؛ ولكن بسبب قصر قامته وضعف نظره أيضًا، فلم تكن ردة

فعل ماجد ابن تاجر المصوغات والمجوهرات إلا التنمر على راشد صاحب الحالة الصحية الضعيفة والاقتصادية المتواضعة، حيث يمتهن والد راشد الأسطى فرغلي صنعة السباكة، فقابل راشد ذلك التنمر بتقبيل رأس ماجد ومدح عائلته وممتلكاته، ولكنه لم يحرك ساكنًا ليصبح التنافس في كافة مجالات الحياة هو دستور العلاقة الشخصية بينهما، فكانت النقطة الفاصلة بينهما هي مجموع درجات الشهادة الثانوية، حيث يتخذ معظم أبناء المجتمع من النسبة المئوية لمجموع الثانوية العامة معيارًا لقيمة الإنسان الشخصية في المجتمع، فكلما ارتفعت النسبة زادت قيمة الإنسان، خاصة من يفوز بالحصول على مقعد في كليات القمة الزائفة، فلم يرتقِ مجموع كليهما للوصول لكليات القمة المنشودة حينها، المتمثلة في إحدى الكليات الطبية، فأصيب راشد بالحسرة وغصة القلب، حيث كان يطمح بالفوز بمنزلة الطبيب العالية حيث الوجاهة والقيمة الاجتماعية والعائد المادي المريح من مهنته المتمناة، ومع الخضوع لمخاض مكتب التنسيق أصبح طموحه الحالي في الحصول على لقب دكتور أكاديمي في كلية التجارة المستقر الجديد له، أما ماجد فعلى الرغم

من كونه لا يحتاج إلى امتهان الطب فيكفيه العمل مع والده في تجارته الرابحة ووراثتها فيما بعد؛ إلا أنه أراد الجمع بكلا الحسنيين، المال والثراء من والده، والمكانة الاجتماعية من مهنة الطب، فقام والده صاحب الثراء الباهظ بتحمل تكاليف دراسة نجله لدراسة الطب في إحدى الجامعات الخاصة عالية التكاليف.

شاءت الأقدار أن يلتقي راشد وماجد بعد فترة من الابتعاد امتدت لبضعة أشهر أمام خزينة دفع ثمن المشتريات في إحدى سلاسل المحلات التجارية لبيع المواد الغذائية، قصدها راشد فقط لإلقاء نظرة استكشافية مقابل شراء زجاجة مياه غازية، أما ماجد فكانت عربة مشترياته عامرة بجميع ما يخطر على البال من منتجات.

– انت إيه اللي جابك هنا؟ الحاجات هنا غالية عليك، يلا امشي من هنا علشان مش هتلاقي حد يدفع لك، أقل حاجة هنا تمنها عفش بيتكم كله.

– احترم نفسك واتكلم بأدب، وخليك في حالك.

– بقى انت يا واطي اللي هتعلمني الأدب؟ يا ابن السباك!

كان وقع كلمات ماجد على نفس راشد كالسكين المقذوفة في قلبه، فلم يشعر راشد بنفسه إلا وهو يقذف ماجد بزجاجة المياة الغازية التي ابتضعها ليتفاداها ماجد بسرعة بديهية عالية ليغادر بعدها راشد تتساقط الدموع من عينيه، يحتسب ما حدث له عند الله، وسط ضحكات عالية مدوية من ماجد، لفتت انتباه من صادفوا المشهد.

وبعد عدة أسابيع في صباح أحد الأيام، أثناء ذهاب الأسطى فرغلي في أحد الطرق لتأدية عمله بداخل إحدى البنايات بالمدن الجديدة، صادف أحد الأشخاص بداخل سيارته على جانب الطريق، يضع رأسه على قطعة التحكم في القيادة فاقدًا للوعي، فتملك الشك في قلبه أن يكون ذلك الرجل قد توفاه الله، فعند استكشافه حال الرجل بداخل سيارته تأكد من وجود نبض بقلبه، فقام بتحريك المريض من مقعد السائق إلى المقعد الخلفي من السيارة وقام فرغلي بالقيادة إلى إحدى المستشفيات الخاصة الشهيرة القريبة من المكان دون أن ينتظر قدوم سيارة الإسعاف، وأيضًا دون أن تكون له رخصة قيادة في أي يوم من الأيام، وعند وصولهم وفحص المريض بالمستشفى بمعرفة أطباء

الطوارئ تبين لهم أن ذلك الرجل غارق في غيبوبة مرض السكر، فظل فرغلي مرافقًا للمريض حتى أفاق من سباته العميق وقام بتسليمه متعلقاته الشخصية التي كانت بداخل السيارة، والتي بحث فيها فرغلي واصطحبها معه داخل المشفى لإثبات شخصية المريض، فما كان من المريض إلا أن قدم الشكر لفرغلي لحرصه على الاطمئنان عليه وعدم سرقة سيارته ومتعلقاته الشخصية، حيث كانت تحتوي حقيبة متعلقات المريض الشخصية بعض الأوراق الهامة ومبلغًا ماليًّا شديد الضخامة جراء بيعه لعقار من سلسال ممتلكاته، حيث كان في طريقه لإيداع أمواله في أحد البنوك، وقبل أن يقود سيارته تناول بعض الحلويات دون أخذ دواء مرضه فكانت غيبوبته نتيجة طبيعية لما ارتكبه من حماقات.

فكان من إصرار المريض على إعطاء فرغلي المكافأة المالية الطبيعية لأمانته في تلك الحالة، والتي كانت باهظة الثمن بمثابة طوق النجاة له، حيث كان بإمكانه أن يحتفظ بكامل المبلغ الثمين ويعلن عدم العثور عليه والاكتفاء بنقل المريض إلى المستشفى، وحينها لن يلام على موقفه ظاهريًّا أو سرقة المبلغ دون إسعاف المريض وتعريض حياته لخطر الموت، إلا أن

دافع الشرف والنزاهة كان المسيطر على فرغلي الذي لم يعتد أن يجلب أموالًا أو ممتلكات ليست تخصه، لتنقلب بعدها حياة فرغلي وولده راشد وباقي أفراد أسرته بشكل جذري، حيث بدأ راشد في دراسة الطب في جامعة خاصة، وبدأ فرغلي في إنشاء سلسلة محلات لبيع متطلبات السباكة بنظام الجملة والقطاعي، يعاونه فيها نجله الأكبر شندويلي، تكسب منها وفير الأموال في وقت قصير، وأصبح من مالكي الأبراج السكنية وأطلق على نفسه لقب المطور العقاري.

وعلى الجانب الآخر فقد تبدلت حياة ماجد وعائلته إلى النقيض بعد مرض والده الشديد قبل أن يتوفاه الله، ليتفاجأ بوجود زوجة شرعية دون الإشهار من والده، وإنجابها اثنين من الأبناء ما زالا في سن الطفولة، وسطوتها على جميع مصوغات زوجها المخزنة بمتجره الخاص بمجرد علمها باستحالة شفاء زوجها، واستحوذت أيضًا على نصيب الأسد من ممتلكات زوجها المالية والعينية مستغلة الثغرات القانونية المعروفة، ليتبقى لماجد وعائلته مسكنهم الخاص دون وجود أي شيء

آخر مملوك لوالدة ماجد، فلم يكن أمامهم إلا اللجوء للقضاء لإجراء محاولة يائسة للحصول ولو على القليل من بعض ممتلكات والد ماجد الراحل، ولم يتوقف سلسال الانهيار عند ذلك الحد؛ فأصبحت دراسة ماجد الجامعية في كلية الآثار بعدما أصبح عاجزًا عن دفع التكلفة الباهظة اللازمة لدراسته في الجامعة الخاصة، وبدأ في الاتجاه للعمل لدى بعض التجار وامتهان المهن المختلفة بجانب دراسته الجديدة البسيطة.

وبعد مرور سنوات عديدة أصبح راشد يقطن مع زوجته وابنته الطفلة الصغيرة في مسكنه الخاص الواقع في بناية والده المطلة على نيل مصر الساحر، وأصبح يمتلك العقارات المتعددة في المدن الساحلية السياحية، وامتلك سيارتين حديثتين خصص منها واحدة لزوجته المعيدة في كلية الفنون الجميلة، وبدأ في السعي للحصول على درجة الدكتوراة العلمية في الطب الباطني، ليقرر راشد الذهاب لأحد المتاجر المتخصصة في بيع الملابس في مجمع المتاجر التجارية للسلاسل العالمية لكي يتبضع منه بدلة أنيقة يرتديها أثناء مناقشته لرسالة الدكتوراة الخاصة به، وعند دخوله المتجر المختار كان راشد على موعد بتدابير

القدر، فيجد أمامه صديق الطفولة ماجد، يعمل بائعًا بداخل المحل، وبمجرد أن رأى الصديقان بعضهما البعض حتى تسمرا في موضعهما ينظران لبعضهما البعض بصمت طويل الأمد، شديد القسوة على ماجد، عظيم المتعة لدى راشد، فقالت العينان كل ما يجب أن يقال في مثل هذه المواقف، ليتبضع راشد ما يحتاجه بمشاركة زميل ماجد في العمل حيث ظل ماجد صامتًا ينظر إلى راشد أينما تحرك داخل المتجر، وسط حالة من الاندهاش وعلامات الاستفهام التي حاوطت المتواجدين بالمتجر، ومع انتهاء راشد من شراء احتياجاته قام بجلب ورقة مالية فئة الخمسين جنيهًا من حافظة نقوده، وقام بالبصق عليها وألزقها على جبين ماجد ليصيح فيه بصوت غليظ وبأنف عالية.

– دوق حلاوة شهادة الدكتوراة بتاعتي من سيدك الدكتور/ راشد فرغلي، دكتور الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي يا شحات يا جربوع.

يترك راشد المتجر بعدما تبضع مراده دون الاكتراث بشيء، أما ماجد فما زال ينظر إلى راشد وهو يسير في طريق المغادرة تتساقط منه الدموع دون أن يدري، وبعدما اختفى أثر راشد عن النظر سحب ماجد النقود

من جبينه وبصق هو الآخر عليها أيضًا، وقام بتفتيتها لقطع صغيرة وألقاها أرضًا، وخطا عليها بحذائه المتواضع، فعلى الرغم من احتياج ماجد لهذه النقود، إلا أنه لم يعتد أن يتقبل المال مذلولًا، وقام باسترجاع شريط حياته وذكرياته كأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًّا في قلب دار العرض، فلم يكن يدرك آيات الله في الأرض، دوام الحال من المحال، ومن يعتقد بتملك الأشياء طوال حياته فإنه لغارق في بحور الوهم المميت، ومن يفعل شيئًا في دنياه فإنه مردود عليه ولو بعد حين.

❋ ❋ ❋